

الخطاب الحجاجي

-دراسة نظرية في ماهية الخطاب وعلاقته بالحجاج-

The argumentative discourse

A theoretical study of the nature of discourse and its relation to argumentation

ط / رميساء مزاهدية .

أ. د/ عمار ربيع.

قسم الآداب واللغة العربية، محمد خيضر -بسكرة- الجزائر.

Romaissa.mezahdia@gmail.com

تاريخ القبول: 2019/01/08

تاريخ الإيداع: 2018/06/26

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تقصي الجانب النظري في طبيعة التعالق بين الخطاب والحجاج ومحاولة الكشف عن سبر أغوار ماهية العلاقة الموجودة بينهما وتحديد طبيعتهما ومعرفة أدق تفاصيل خباياهما والفصل في طبيعة المفاهيم التي تتداخل بينهما وما يعتريهما من مد وجزر الكلمات المفاتيح: الخطاب، الحجاج، الخطاب الحجاجي، دراسة نظرية تعالقية.

Abstract:

This study seeks to explore the theoretical aspect of the nature of the relationship between the speech and the pilgrims and try to reveal the sound of the nature of the relationship between them and determine their nature and know the most accurate details of their experiences and the separation in the nature of concepts that overlap between them and all of the tides.

Key words: discourse, pilgrims, discourse, the discourse pilgrimge, theological study.

توطئة:

إن الظاهرة اللغوية مرتبطة بالإنسان وفق بعدين هما: البعد الكوني والقائم على أساس أن الحدث اللساني وجود مطلق ملازم للوجود البشري، والبعد البيولوجي والمتمثل في استعداد الإنسان خلقيا لامتلاك اللغة. هذا التلاحم بين اللغة والذات البشرية يثبت صدق المقولة القائلة: "إن الإنسان لغة فلا أنسنه بدون لغة، ولا لغة بدون إنسانية".

فاللغة إذن وسيلة التواصل البشري بين الأفراد والمجتمعات، فهي ظاهرة اجتماعية يتميز بها الإنسان ويتواصل بها مع غيره، يفكر بها، يتحدثها، يكتبها، وكل ذلك في سياقات كثيرة ومختلفة، تتطلب أن يكون المتكلم مخاطبا، محاججا، مدافعا عن لبنات أفكاره، مستخدما في خطابه استراتيجية ووسائل إقناعية بغية إيصال الأفكار إلى المخاطب للتأثير فيه واستمالته وجدانيا، فكريا، سلوكيا.

يعد الخطاب من الموضوعات التي صارت من أولى أولويات الدرس الحديث، وهذا الأخير حاول أن يسن له قوانين تضع الباحثين وفق الدرب الصحيح نظرا لأهميته في كل مجال من مجالات الحياة، فللمجتمع سياقات كثيرة تتطلب خطابات متنوعة تقتضيها العملية التفاعلية المتبادلة بين المرسل والمرسل إليه وفق ضوابط معينة، مع الأخذ بالحسبان الظروف المحيطة بإنتاجها، وكذلك مفهومية المتلقي، ومدى قدرته على الاستيعاب وتحديد مقصدية المتكلم وما يتوخاه من خطط معينة واستراتيجية للتبليغ عن هذه المقاصد وتنوع طبيعة الاستراتيجية المنتقاة تبعا لتغير وتنوع هذه المعطيات.

كما يشكل مصطلح الحجاج - مفهومه ومجالاته - المندرج في علم البلاغة في العصر الحديث عنوانا لمجموعة من المباحث التي أسفرت عنها الدراسات اللغوية الحديثة التي قامت على فكرة تطوير العلم الذي يبحث في الآليات الإقناعية الكامنة في الخطابات على اختلاف أنواعها، مما دفع بها إلى إقامة اتصال مع مجموعة من العلوم منها: اللسانيات والمنطق والفلسفة - وهذا ما جعل الدكتور محمد العمري يصف هذا العلم بقوله: "هو العلم الذي يمد الجسور بين علوم الإنسان وعلوم اللسان، وغيرها من العلوم الإنسانية التي تفاعلت وكشفت عن نظرية الحجاج التي تؤمن بالطبيعة الحجاجية للغة، والخصائص الإقناعية التي يتمتع بها كل خطاب والتي

تمكنه من تبليغ معانيه وما يتبعها من الالتزام بآليات تعبيرية وتقنيات مخصصة لتحقيق غاياته الإقناعية، فلا يكاد يخلو أي خطاب من الحجاج في مجالات السياسة، الدين، القضاء، والتربية، بغية التأثير في المتلقي واستمالته بالحجج والبراهين التي تهدف لدحض وإفناد مفاهيم ومعتقدات وبناء آراء ومفاهيم جديدة على قناعة؛ مما يجعله يستجيب للدعوى المقدمة فينعكس ذلك على وجدانه، فكره، وتصرفاته فتكون مصحوبة بتغير جذري يلاحظ ويقاس في مختلف مجالات الحياة.

أولاً: الخطاب:

الخطاب هو مصطلح يشمل أكثر من نسق، ولكن نحن في هذه الدراسة بصدد تحديد معالمة وأطره المتعلقة بالحجاج⁽¹⁾، أي بتحديد أطره وضبطها وتحديد دراسته بزاوية تعالقه بالحجاج، متجاوزين الطرح التفصيلي للمفاهيم السابقة المرتبة وفق تراتبية زمنية التي ساعدت على تكوين مفهوم الخطاب من الجملة، التلفظ والملفوظ، وتوضيح التداخلات بين مفهوم النص والخطاب-وهو ما سوف نعرضه لاحقاً-، ونتعامل مع الخطاب باعتباره " كل خطاب ملفوظ/ مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات" ويفاد من التعريف ثلاثة أمور:

أولاً: تحييد الثنائية التقابلية جملة/ خطاب حيث أصبح الخطاب شاملاً للجملة.

ثانياً: اعتماد التواصلية معياراً للخطابية.

ثالثاً: إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب حيث أصبح من الممكن أن يعد خطاباً أي كل نص كامل أو جملة أو مركب أو ما سميناه في مكان آخر شبه جملة.⁽²⁾ ومن هذا المنطلق سننظر إلى الخطاب ليس من زاوية حجمه لأن هذه المسألة قد فصل فيها وإنما من منظور تواصلية ومن زاوية نفعية وذلك بأن الخطاب سواء كان شفويًا أم مكتوبًا، لا ينتجه المرسل إلا لقصد وهو تبليغ الرسالة والتأثير في المتلقي لتغيير سلوكه ووجهته الفكرية مما ينجم عنه تغيير جذري في شتى مناحي الحياة.

تعريف الخطاب:

لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) في مادة خطب: "خطب: الخطب: الشأن أو الأمر، صَغَرَ أو عَظَّمَ يُقال ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال..... يقال: خطب فلان إلى فلان فخطبه وأخطبه أي أجابه والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان والمخاطبة مفاعلة من الخطاب"⁽³⁾ ولعل معنى الخطاب في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) يتجسد في سؤال ما خطبك؟ ولا شك أن السؤال يتطلب الأخذ والعطاء بين مخاطبا ومخاطباً؛ وهذا ما نلمسه في هذا التعليق عن معنى ما خطبك؟ "فكأن المصطلح يحمل في جيبه إفهام السامع بعد الرد على سؤاله وجوابه، أو إقناعه وإفحامه"⁽⁴⁾. أي أن الإفهام هنا مبني على الحجاج بغية الإقناع.

وكذا فالأصل في معنى الخطاب عند علماء العربية: الكلام الموجه وهذا ما ذكر في لسان العرب بصريح العبارة "إنّ الخطاب مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر في مقام التواصل"⁽⁵⁾ ويتقاطع هذا التعريف مع تعريف الخليل فقد عرف الخطاب بأنه "مراجعة الكلام"⁽⁶⁾ ويتفق صاحب معجم مقاييس اللغة مع ما ورد في لسان العرب، حيث يقول ابن فارس (ت 395هـ) في مادة خطب "الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين"⁽⁷⁾ والاتفاق يكمن في أن الخطاب مرادف للكلام حيث يكون متبادل بين متخاطبين ومن ثم فهو تفاعل بينهما، أما المعجم الوسيط فتلمس نقطة التقاطع بينه وبين المعاجم السابقة الذكر في أن الخطاب هو الكلام إلا أنه يحمل بعض الإضافات تكمن في أنّ الخطاب المفتوح خطاب يوجه إلى بعض أولي الأمر علانية..... فالكلام يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس لإقناعهم⁽⁸⁾. هذا المعجم وسم الخطاب بأنه خطاب موجه لأشخاص معينين والهدف المبتغى من هذا التوجيه هو الإقناع.

نستشف من مجمل التعريفات اللغوية أنها "لا تخرج الخطاب عن صيغته التخاطبية بين شخصين، إذ تستوجب المخاطبة الإجابة وردة فعل، تستدعي الإجابة تحويل الكلام من المتلقي إلى المرسل فذلك يعني تبادل الكلام"⁽⁹⁾ وهذا التبادل يستلزم وجود طرفين طرف منتج للخطاب أي مرسل وطرف مستقبل للخطاب أي مرسل إليه وهو بذلك نشاط تخاطبي تواصلية تفاعلي.

هذا من الناحية اللغوية أما من الناحية الاصطلاحية فقد حظي مصطلح الخطاب بعناية من قبل علماء اللغة والتفسير فانكبوا عليه دراسة وتعريفا وتحليلا وتفسيرا للمصطلح، فقد عرّفه التهانوي: "بأنه توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"⁽¹⁰⁾، وعرفه الآمدي بأنه "اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متيئ لفهمه"⁽¹¹⁾ وقال أبو البقاء الكفوي في "الكليات" "الخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام، وإفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطاباً"⁽¹²⁾

وهذا ما يحيلنا أن الخطاب يوجه لغرض الإفهام؛ فالإفهام صفة جوهرية في الخطاب وإذا خلا الخطاب من هذه الصفة فلا يكون الخطاب خطاباً.

أما من ناحية صيغة لفظ الخطاب، فهو "أحد مصدرى فعل خاطب يخاطب خطاباً ومخاطبة وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم.... فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خوطب به وهو الكلام."⁽¹³⁾

وورد مصطلح الخطاب في آيات من القرآن الكريم في أكثر من موضع نورد منها: قوله تعالى: "وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ"⁽¹⁴⁾. "وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ"⁽¹⁵⁾. "وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا"⁽¹⁶⁾. "رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا"⁽¹⁷⁾. "إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ إَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ"⁽¹⁸⁾

وإذا رجعنا إلى كتب التفاسير نجدهم قد أولوا عناية خاصة بشرح مفردة الخطاب منها؛ فنجد الزمخشري يفسر "فصل الخطاب" بقوله "البيان من الكلام ... الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه، وأردت بفصل الخطاب: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفساد، والحق والباطل، والصواب والخطأ... ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل"⁽¹⁹⁾ وباستنتاج كنه هذا التفسير تظهر لنا فاعلية الخطاب في كونه يأتي لاستجلاء الخبايا وللفصل بين الفعل الصالح والطالح وبين الجيد والرديء منه وبين غث وسمين للابتعاد عن مزالق العنف والفساد، أملا في الخروج بمحصلة معرفية مبنية على نتائج منطقية ذو دعامات تأثيرية إقناعية لبث الإصلاح.

هَذَا عند العرب قديما، أما بالنظر إلى علماء الغرب فقد عرفه بنفينيست (E.Benveniste): "بأنه الملفوظ المنظور إليه من جهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل"⁽²⁰⁾ وهو "بذلك يجعل الخطاب ملفوظا مرتبطا باللغة المكتوبة انطلاقا من آليات التواصل وما تقتضيه من استعمال للدليل اللغوي المتواضع عليه"⁽²¹⁾، فهو بذلك يعدّ نصا بوصفه ملفوظ مقرونا بفعل التواصل، كما أنه يعرفه أيضا "بكونه كل عملية تلفظ تتطلب متكلما يقصد التأثير في سامعيه بكيفية ما"⁽²²⁾ ويعد الخطاب أيضا "تلفظ مرتبط باللغة المنطوقة، إذ يتطلب طرفين هما المتكلم والمستمع وهدفا تأثيريا بكيفية معينة"⁽²³⁾، وهذا القصد التأثيري ينبغي أن يرسم ويحدد من قبل المخاطب أثناء التخاطب بآلية وكيفية محددة واستراتيجية إقناعية منتهجة من قبل المتكلم للتأثير في السامع.

أما رومان جاكبسون (R.Jakobson) فيرى أن الخطاب: "نص تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام"²⁴ فجاكبسون ينظر إلى الخطاب بأنه نص.

نستشف من تعريف كل من بنفينيست (E.Benveniste) و جاكبسون (R.Jakobson) أن هنالك تداخلا كبيرا بين مفهوم الخطاب وبين مفهوم النص لذا سنحاول الفصل والتفريق بينهما نظرا للتعالق والتواشج الموجود بينهما.

فالخطاب "كلمة تستخدم للدلالة على كل كلام متصل اتصالا يمكنه من أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب، وليس كل خطاب نصا وإن كان كل نص بالضرورة خطابا فالكلام المتصل خطاب، ولكنه لا يكون نصا إلا إذا اكتمل ببداية ونهاية، وعبر عن موضوعه ببناء متماسك منسجم."⁽²⁵⁾

يمكن التمييز بين الخطاب والنص باعتبار: المتلقي، الكتابة وباعتبار التواصل يتضح أن الخطاب يؤدي وظيفة تواصلية عن طريق المشافهة ويؤديها النص عن طريق التدوين والكتابة⁽²⁶⁾ إذن فالكتابة تخص النص دون الخطاب، ويمكن أن نصف "الخطاب بأنه رسالة من متكلم أو كاتب"⁽²⁷⁾ و "النص بأنه وحدة مجردة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصلية"⁽²⁸⁾ أما بالنسبة للمتلقى فالخطاب يستلزم متكلما ومتلقيا آنيا أثناء التواصل بينما النص فمتلقيه

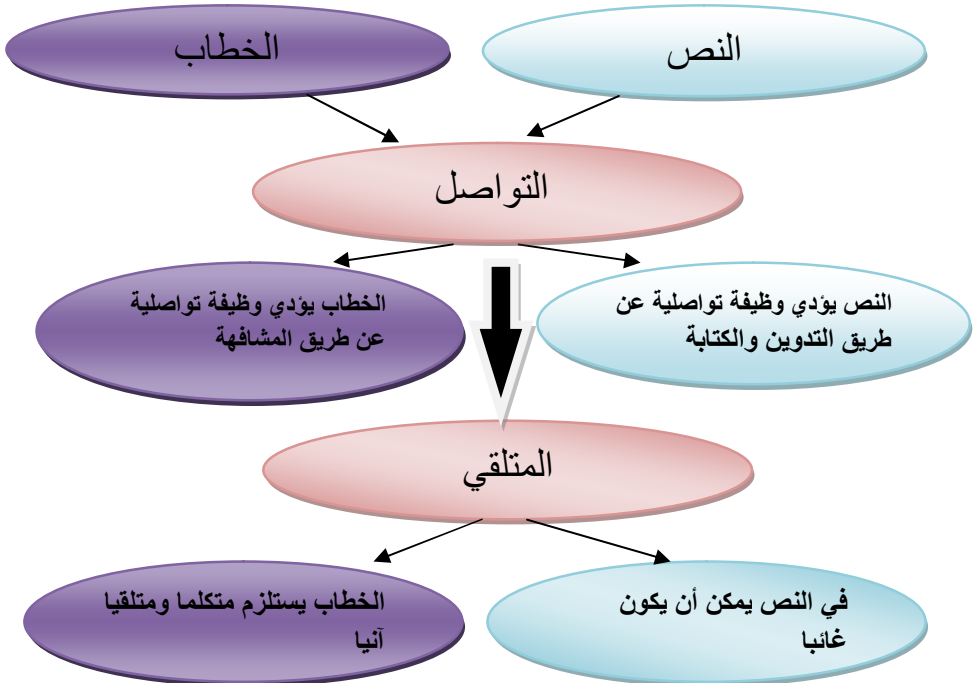
يمكن أن يكون غائبا وتؤجل عملية التواصل لحين القراءة إذن فكل من الخطاب الشفوي والنص المكتوب تجسيد وتحقيق للوظيفة التواصلية.

ويمكن أن نميز بين النص والخطاب في مجموعة من النقاط الجوهرية تتمثل في ⁽²⁹⁾:

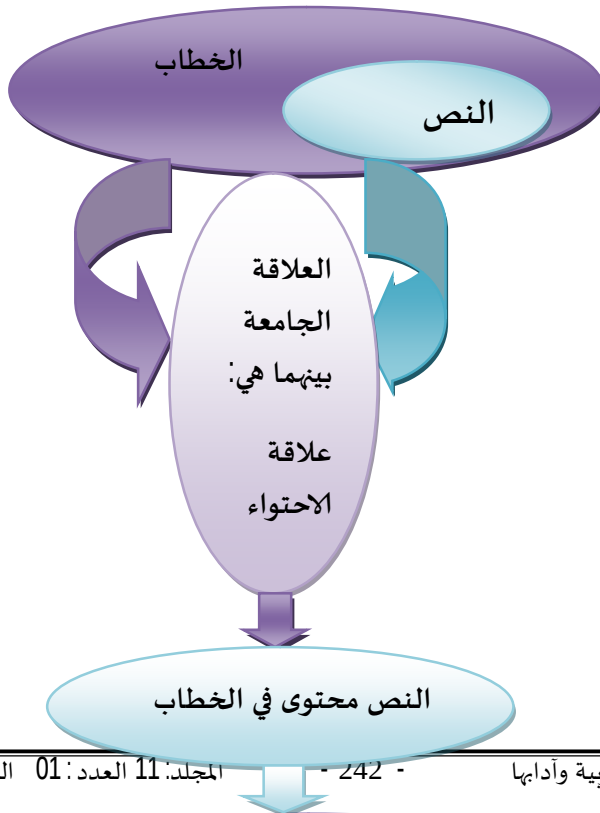
- ✓ الخطاب مرتبط باللغة المنطوقة، أما النص فهو نتاج اللغة المكتوبة.
 - ✓ الخطاب يتطلب متكلما ومستمعا وحضور آني أثناء التواصل، أما النص فيتطلب منتجا (ناصاً) ومتلقيا قد يؤجل إلى حين القراءة.
 - ✓ الخطاب ينقطع بزوال لحظة التواصل، أما النص فمستمر حتى ولو غاب متلقيه. - وهذا ما يثبت أن النص ذو ديمومة واستمرارية كتابية حاضرة في كل زمان ومكان.
 - ✓ الخطاب مقترن بالتلفظ الآني الذي يحمل دلالة معينة، تتفاعل معها الأطراف المجسدة له أثناء التواصل، في سياق محدد، يبرز نفسية وثقافة هذه الأطراف، أما النص فمتعلق بالملفوظ والكتابة، وهو يحتوي تلك الدلالة المعينة للخطاب، ولهذا رأى فان دايك (Van dyke) أن النص يتضمن الخطاب، وإذا تم تجسيد هذا النص في موقف وسياق تواصل يحدّ خطابا.
- هذه النقاط الفارقة تجعلنا ننظر إلى الخطاب بأنه نتاج العملية الشفوية في حين يتجلى لنا أن النص ما هو إلا ذلك القالب الذي يشكل الخطاب ببنيته وخصائصه النصية ولغته المكتوبة ويمكن أن ندرج في هذا المقام تدعيما لرأينا مقولة نراها هامة لـ "فان دايك" () يدرج فيها تمييزا دقيقا بين مصطلح الخطاب والنص أوردها حسين الخمري في كتابه "نظرية النص" " إذ أن الخطاب هو عملية الإنتاج الشفوية ونتيجتها الملموسة، أما النص فهو مجموع البنيات الآلية التي تحكم هذا الخطاب، وبتعبير آخر فإن الخطاب تلفظ ذو طبيعة شفوية لها خصائص نصية بينما النص هو الشيء المجرد والافتراضي الناتج عن لغتنا العلمية"⁽³⁰⁾ وهذه المقولة تجعلنا نستحضر الفرق الذي أدرجه "سعيد يقطين" بين النص والخطاب وذلك بجعله النص بنية تتضمن الخطاب والخطاب إنتاج لفظي " والنص وحدة مجردة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصل... إن الخطاب هو في آن واحد فعل الإنتاج التلفظي واللفظي ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية، بينما النص هو مجموع البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب

وتستوعبه، وبتعبير آخر، إنّ الخطاب هو الموضوع الأميريقي* والمجسد أماننا كفعل، أمّا النصّ فهو الموضوع المجرد والمفترض، إنّّه نتاج لغتنا العلمية⁽³¹⁾.

وما نخلص إليه في خضم هذا الجدل بين النص والخطاب، أنّ العلاقة الجامعة بينهما هي علاقة الاحتواء، فالنص محتوى في الخطاب، وهذا الأخير يسمح للنص بالتمظهر في شكل خطاب ويضمن له بذلك تحقيق الوظيفة التواصلية هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا نظرنا إلى كل منهما بمنظور تواصلي ومن زاوية نفعية، نجد أن كل منهما يشتركان في القصد والهدف وهو التأثير في المتلقي أو لم ينتج المتكلم خطابه والكاتب نصه بنية التأثير في الآخر.



رسم تخطيطي يوضح النقاط الفارقة بين النص والخطاب.



ولا يمكن الحديث عن الخطاب بمعزل ومنأى عن العناصر الفاعلة والمشكلة له.

ثالثاً: عناصر الخطاب: (عناصر التفاعل الخطابي)

يستحيل أن يكون الخطاب ذا معنى أو يمكن أن يتواصل به بمعزل عن العناصر المشكلة له، لذا يستلزم الحديث عن الأطراف الفاعلة فيه، فهي التي تضفي على الخطاب خصوصيته التواصلية، فلا يكون الخطاب خطاباً إلا إذا قام على جملة من العناصر الأساسية وهي:

1: المرسل: مما لا شك فيه أن المتكلم يلعب دور رئيسي في عملية التواصل في الخطاب فهو السباق والمنتج والمعرض لعملية التخاطب فهو يشكل "الذات المحورية في إنتاج الخطاب، لأنه هو الذي يلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه"⁽³²⁾. فبدونه لا يكون هنالك خطاب؛ فهو طرف الخطاب الأول الذي يتجه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التخاطبية، بقصد إفهامه مقاصده أو التأثير

فيه، ولذلك فإنه يختار ما يتناسب مع منزلته ومنزلة المرسل إليه، كما يتوخى اختيار ما يتناسب مع السياق العام؛ فخطاب التاجر مع زبونه يختلف حتما عن خطابه مع تاجر آخر مثله، كما يختلف خطاب ملك مع أحد رعاياه عن خطابه مع آخر من أئداده⁽³³⁾، فالمتكلم هو المنوط ببناء خطابه وانتقاء لغته بحسب مقتضيات السياق وطبيعة المتلقي فاللغة لا يمكن لها أن "تتجسد وتمارس دورها الحقيقي إلا من خلال المرسل"⁽³⁴⁾ فهذا الأخير هو الذي تتوقف عليه نجاح العملية التخاطبية "فاللغة لا تسبق ذاتها، وإنما المتكلم هو من يلائم بين اللغة والسياق المناسب للخطاب"⁽³⁵⁾ ويحورها على حسب مستوى المتلقي.

إذن نخلص إلى أن المرسل هو أساس وعماد العملية التخاطبية ونجاحها مرهون عليه وعلى كفاءته في تحقيق المقاصد التي يتوخى تحقيقها من خطابه وعليه أن يمتنع طرائق تمكنه من الوصول إلى غايته فإذا كان هدفه الإقناع جند مختلف الأدوات اللغوية والآليات التخاطبية التي تبلغه مراده.

2: المرسل إليه:

يمثل المتلقي الطرف الذي أُنْتُج من أجله الخطاب؛ فهو الطرف الثاني الفعال "وإليه تتجه لغة الخطاب التي تعبر عن مقاصد المرسل، وعليه فإنه يمارس، بشكل غير مباشر، دورا في توجيه المرسل عند اختيار أدواته وصياغة خطابه، وذلك بحضوره العيني أو الذهني؛ انطلاقا من علاقاته السابقة بالمرسل وموقفه منه ومن الموضوعات التي يتناولها الخطاب. كل ذلك يترك أثره، بوصفه هو الذي يمارس تفكيك الخطاب ويؤوله لمعرفة مقاصد المرسل وأهداف الخطاب التي يرى أنه يريد تحقيقها."⁽³⁶⁾ فقد أشار اللغويون القدماء في التراث العربي إلى تأثير المرسل إليه على المرسل عند إنتاج خطابه سواء على المستوى اللغوي أو المستوى البلاغي أو التداولي و"هذا ما يثبت أنّ بناء الخطاب وتداوله مرهون إلى حد كبير بمعرفة حاله، أو بافتراض ذلك الحال.... فالمرسل إليه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب سواء أكان حضورا عينيا أم استحضارا ذهنيا، وهذا الشخص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركية الخطاب."⁽³⁷⁾ فمعرفة أحوال المتلقي يزيد في قدرة المرسل التنويرية، ويمنحه أفقا لبناء خطابه واختيار اللغة الملائمة التي تتماشى وطبيعة مستوى المتلقي.

3: السياق:

يعرف ظافر الشهري السياق "بأنه الإطار الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها واختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام، والفهم بين طرفي الخطاب، وذلك من خلال عدد من العناصر، فمن عناصره العلاقة بين المتخاطبين... فمعرفة عناصر السياق، تسهم في عملية التعبير عن المقاصد والاستدلال لإدراكها، وعليه فإن اختيار الأدوات والآليات اللغوية يعد انعكاسا للعناصر التي تشكل في مجموعها سياقاً معيناً يبرز من خلال لغة الخطاب وبمعرفته يمكن تفكيك هذه اللغة للوصول إلى المعنى المقصود أو الغرض المراد"⁽³⁸⁾ ويضيف بأننا "يمكن أن نسميه الجو الخارجي الذي يلفّ إنتاج الخطاب من ظروف وملابسات، ويعد العنصر الشخصي من أهم عناصر السياق ويمثله طرفا الخطاب المرسل والمرسل إليه، وما بينهما من علاقة بالإضافة إلى مكان التلفظ وزمانه، وما فيه من شخوص وأشياء، وما يحيط بهما من عوامل حياتية، اجتماعية، أو سياسية، أو ثقافية."⁽³⁹⁾ إذن يتضح لنا أن السياق هو "جملة الظروف العامة التي ينتج فيها الخطاب، ويتركب من المتكلم والمستمع ومن أنساقهما المعرفية والإرادية والتقديرية، ومن علاقتهما التفاعلية المختلفة"⁽⁴⁰⁾ فبإرمان يقدم تصورا للسياق حيث يعتبره أنه لا يخرج عن نطاقين؛ فالنطاق الأول يكمن في أنه لا يخرج عن الإطار المحدد للخطاب والمستوعب لكل محتويات العملية الإبداعية، ولكل المشاركين فيها. والنطاق الثاني يتجلى في تلك المقدمات ذات النظام العام التي تساعد المبدعين في بناء الحجج وترتيب القيم⁽⁴¹⁾ ويرتبط السياق إلى حد كبير بثقافة المجتمع فهذا الأخير هو الذي يحدده ويوجهه وجهة خاصة وعلى إثره تتم عملية التلقي، لذلك كان مصدر اهتمام وتجاذب عدة ميادين وتخصصات على الرغم من اختلافاتها إلا أنّها تتفق جميعها في أنّ "السياق يفسّر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية والإبلاغية لدى كل من منتج الكلام والمتلقي، وأنه ركن أساس في فهم الرسالة اللغوية"⁽⁴²⁾

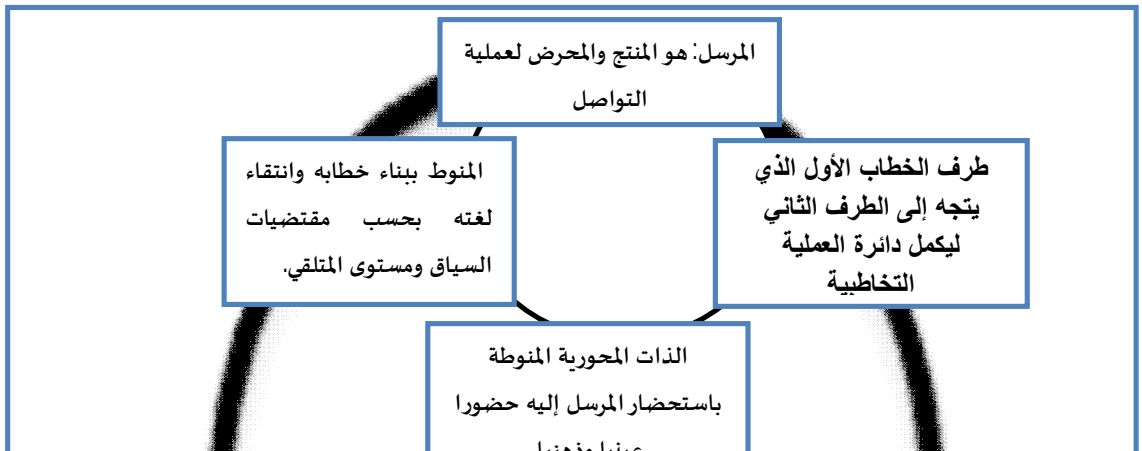
إذن السياق ركن محوري أساسي في فهم الرسالة اللغوية؛ وهذه المحورية تجعله يحتل أهمية تؤهله ليكون عنصراً فعالاً في نجاعة الخطاب الحجاجي.

والسياق نوعان، السياق اللغوي والسياق الحالي والأول منهما هو الذي يعطي الكلمة أو العبارة معناها الخاص في الحديث أو النص، فهو يزيل اللبس عن الكلمة بينما سياق الحال (المقام) يزيل اللبس عن الجمل والنصوص، والسياق بهذا المفهوم يتعدى ماهو معروف من حيث إنه تتابع للأصوات والألفاظ ليشمل فضلا عن ذلك الجو البيئي والنفسي المحيط بكل من المتكلم والسامع⁽⁴³⁾ من شأن السياق اللغوي والحالي أن يحدد نوع الخطاب ويوجه طبيعته ولغته ويكتشف دور المخاطب أهو يُحاجج، يُفسر، يُخبر.

نخلص إلى أن نجاح العملية التخاطبية متوقف على جس نبض العناصر المشكلة للسياق بدءا بالجو الخارجي المحيط بإنتاج الخطاب الذي يتمثل في مجموع الظروف والملابسات التي تحيط بطرفي الخطاب (المتكلم والمستمع) والعلاقة الجامعة بينهما، بالإضافة إلى مكان وزمان الخطاب وصولا إلى العوامل المساعدة على إنتاجه من عوامل اجتماعية وسياسية وثقافية. وهذا ما يثبت أن هذه العناصر "لا ترتبط بلحظة التلفظ، وإنما تمتد إلى ما قبله، لتمثل قاعدة بيانات ينسج على منوالها نص الخطاب وهدفه وغاية المتكلم منه"⁽⁴⁴⁾. فهذه القاعدة البيانية تكون بنك معلوماتي لكل العناصر يستمد منها المتكلم لغة خطابه.

4: الخطاب:

يعد "ثمرة اجتماع العناصر الثلاثة السابقة، ففيه تبرز الأدوات اللغوية، والآليات الخطابية المنتقاة، ومن خلال تتبع خصائصه التعبيرية يمكن معرفة الكيفية التي تعامل بها المرسل مع ذاته ومع المرسل إليه، هل أجّله واحترمه، أم أهانه وحقره هل حاول أن يُقربه أم يُبعده؟ هل حاول إقناعه أم فرض سلطته عليه مباشرة؟ هل تنازل عن موقعه الاجتماعي أو الوظيفي تقديرا للمرسل إليه أم أنّه مكث في عليائه؟ كل هذه الاعتبارات وغيرها، تبين كيف للغة الخطاب أن تقود الفاحص إلى إجابات واضحة على هذه التساؤلات"⁽⁴⁵⁾



إذن كل هذه العناصر المرسل، المرسل إليه، السياق، تساهم في التفاعل الخطابى الذي يجري في إطار اجتماعى تنتظمه قواعد وأعراف سعى بعض الباحثين إلى تحديدها واستنباط الشروط الواجب توافرها فيه، وهو ما سنغنى بتحديددها.

رابعاً: شروط التفاعل الخطابى: وهي كالآتي.⁽⁴⁶⁾

1- القصدية في الخطاب:

إن ما يتفق بشأنه الباحثون هو أنّ التوصل بخطط خطابية يفترض السعى إلى تحقيق هدف معين إلا أنهم يختلفون في تعيين هذا الهدف، فهو يقوم عند بعضهم على الرغبة في إثبات صحة الموقف الذي يتبناه المتكلم وفي الآن ذاته دحض الموقف المخالف ونسقه أو تصحيحه، في حين يحرص آخرون على أن غاية التفاعل في الموقف

الاتصالي اللغوي تكمن في تصحيح ما انطبع في ذهن المخاطب من أفكار خاطئة بشأن المتكلم، وفريق ثالث يرى أن التفاعل الخطابي غايته أنه يلجّ على رغبة المتكلم في استدراج المخاطب إلى الاقتناع برأيه، وحمله عن طريق البرهان على تعديل موقفه، والعمل وفق ما يميله المتكلم من أحكام كثيرا ما تستجيب لمصالحه أو مطامحه.

وبهذا نكون أمام خطاب تواصل يمتاز بخصائص بنائية ونفعية يسعى فيها الطرف الأول لجذب الطرف الثاني وإقناعه، يستند في ذلك على مرجعية وسياق مشترك بين المرسل والمرسل إليه وكل الملابسات التي تحيط بالخطاب تؤدي إلى بروز قيمة القصدية بالنسبة للذوات المتخاطبة.

فالقصدية في أبسط معانيها هي "كل ما يدور في خلد المتكلم باستمرار أثناء إصداره للمفوضاته، من مقاصد وطموحات ورؤى يسعى إلى إرسالها، والدفاع عنها بواسطة الحجج. إنها كل ما من شأنه أن يحقّق المتكلم على تحريك العملية التبليغية التواصلية تصريحاً أو تلميحاً، ويلعب القصد أو المقصد دوراً محورياً في تأويل المفوضات والنصوص"⁽⁴⁷⁾ إذن فسمة القصدية من السمات الأساسية "التي يجب أخذها بعين الاعتبار في الاستدلال الحجاجي ذي الطبيعة الخطابية؛ لأن معنى قول ما، في سياق تواصل معين، لا يمكن وصفه دون الإحالة على بعض قصود التلفظ"⁽⁴⁸⁾ فهذه المقاصد الكامنة في كل شبر من ملفوظات المتكلم لذا ينبغي البحث عن هذه المقاصد وفي مختلف الظروف التي أسهمت في صدور الملفوظات، فلا يمكن الحديث عن انسجام الخطاب بمعزل عن معرفة القصد من الخطاب لذلك ينبغي أن نكون على دراية بالقصد الذي أصدر من أجله الخطاب وفي هذا الصدد تقول آن روبول: "يشكل القصد محور إنتاج وتأويل الملفوظات والخطابات"⁽⁴⁹⁾ فمن التحصيل الحاصل أن يدرك القصد من الخطاب حتى تتم العملية التواصلية بنجاح وتؤدي مضمونها.

2- القيمة في الخطاب:

لا يخرج التفاعل الخطابي في جميع الحالات من أحكام القيمة، فعندما يدافع المتكلم عن وجهة نظر معينة فلأنها أكثر قيمة عنده وأقرب إلى المنطق والأعراف السائدة من أي قيمة أخرى في نظره. تكمن أهمية التفاعل بين المتكلم والمستمع في

ضرورة الالتزام بطبيعة الأرضية المشتركة بينهما، وهي أرضية تضم كل الإمكانيات الخطابية الخاصة بمقام ما (معلومات مضمونية، وسائل ترتيبية واستدلالية، وسائل تحصيلية) تراعي كلها اعتقادات المتكلم والمخاطب وردود أفعالهما، "فكل منهما يشتركان في مجموعة المعطيات (السياق) إلى جانب المعلومات المشتركة بينهما وما يربطهما من تجارب وثقافة"⁽⁵⁰⁾ فهي التي تساهم في تشكيل معنى الملفوظ فيغدو ذا قيمة يكتسبها تركيب الخطاب في سياق التلفظ، أي أن المعنى، كقيمة لا تتحكم فيها اللغة بقدر ما يتحكم فيها مستعملوها، فالملفوظ إذن هو منتج التفاعل بين المتخاطبين، فقيمة الخطاب لا تكمن "في حضور المتكلم فحسب، ولكنه حضور يتقاسمه مع حضور المخاطب"⁽⁵¹⁾ وهذا ما يثبت أن المخاطب يعد مكونا أساسيا في العملية التخاطبية والتواصلية وموجها ضروريا لطبيعتها وأهدافها.

3- التلقي:

حتى تثمر العملية التخاطبية وتحقق عملية التلقي عند المتلقي وتعطي نتائجها لابد أن ينطلق المرسل من طرح سؤال مركزي: كيف تجعل الآخر (المتلقي) يعتقد أن ما تنتجه من أفكار وأطروحات مفيد؟ وماهي السبل المتخذة من أجل استمالة المتلقي وجعله قابلا للتلقي؟

حتى يبلغ المرسل غايته المنشودة لابد من الإجابة عن هذا السؤال وهذا يتطلب البحث عن اقتضاءات مشتركة داخل موقع المستمع (أو فضاء المستمع) التي من شأنها أن تخلق أرضية مشتركة بين المتخاطبين⁽⁵²⁾

فاستمالة المخاطب للمتلقى إنما هي وقف على بناء العمليات الحجاجية، التي تستوجب منذ البداية اعتبار المستمع والبحث في سياقاته، وبعبارة أخرى، "ينبغي البحث عن الاتفاقات المسبقة والمشاركة التي سيقوم عليها الاستدلال، وإلا فإن الحجاج سيكون مصادرة على المطلوب ولا يؤدي وظيفته الإقناعية الأساسية"⁽⁵³⁾ لذا ينبغي البدء من نقطة الاتفاق.

4- التفاعل:

إن التفاعل بين المرسل والمرسل إليه، لا يمكن أن يحدث إلا بالتلفظ بملفوظات، هذه الملفوظات ترد في سياق معين، وزمان ومكان محدد، فالملفوظ يؤول حسب السياق الذي يرد فيه⁽⁵⁴⁾.

وهذا ما يثبت أنّ ما نتلفظه من خطابات نسعى دوماً به إلى إحداث تفاعل لدى السامع (القارئ) ليتفاعل مع الملفوظ (النص)، ونتيجة لذلك التفاعل يحدث التغيير في الوضعيات والمواقف.

فالتفاعل قائم بين عناصر العلاقة التخاطبية (المرسل، المرسل إليه، السياق) فبتطافرها تتحقق وظيفة اللغة التواصلية، ومن شأنها أن تصل لتحقيق هدف الخطاب الذي يرجوه المرسل ويسعى إلى تحقيقه، بواسطة آليات تخص كل عنصر من عناصر الخطاب ومراعاتها لحظة التلفظ. وهذا الهدف المرجو من الخطاب يتعدد، باختلاف أنواع الخطاب.

خامساً: أنواع الخطاب وأنماطه⁽⁵⁵⁾:

يقترح الترميز التقليدي المتوارث للخطابات تصنيفاً منطلقاً فيه من أحد المعايير التالية: الموضوع والآلية والبنية.

1- تصنّف الخطابات من حيث موضوعها إلى خطاب ديني، خطاب علمي، خطاب أيديولوجي، خطاب سياسي، خطاب اجتماعي، خطاب ثقافي، خطاب إخباري، خطاب فلسفي.

2- تصنّف الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى "الخطاب الفني" (الإبداعي، الأدبي) إلى قصة ورواية وقصيدة وشعر ونثر وغيرها.

3- أما من حيث الآلية المشغلة فيميز بين الخطاب السردى والخطاب الوصفي والخطاب الحجاجي.

إذن أغلب وأشهر هذه الأنواع من الخطابات هو الخطاب الحجاجي حيث يهدف المرسل من خلاله إلى الحجاج بغية إقناع المتلقي بوجهة نظرها وحمله على تغيير وضعه واستبدال موقفه الأصلي بموقف ثاني يدعو إليه المرسل.

نتوقف عند الخطاب الحجاجي ونحاول أن نبين العلاقة الجامعة بين الخطاب والحجاج وكيف يتجسد الحجاج في الخطاب؟

مصدر الخطاب فردي وهدفه الإفهام والتأثير، فهذه الخاصية تحيلنا للمصدر الفردي للخطاب في كونه نتاج يتلفظه المتكلم، ويهدف من ورائه إلى إيصال رسالة وترك أثر واضح في المتلقي، فلا تكمن وظيفة المتكلم في مجرد توجيه الكلام للغير لمجرد الكلام ولا ليخبره أو يشرح له أو يفسر لمجرد الإخبار والشرح والتفسير وإنما تتحول وظيفته إلى وظيفة تأثيرية وإلى تحقيق هدف قابع في ذهن المتكلم حمله على التكلم ألا وهو الحجاج بغية الإقناع. فالمخاطب مالم ينقل إلى الغير ما يحمله على الحركة، فلا عمل لخطابه أي لا معنى له⁽⁵⁶⁾. لأن حقيقة الخطاب لا تتوقف عند حد الكلام من أجل الكلام وفي هذا الصدد يصرح "جان ميشال آدام": "بأننا حينما نتكلم فنحن نسعى من جهة إلى حمل المخاطب على أن يتقاسم آرائنا أو التمثيلات المتعلقة بموضوع معين، ونسعى من جهة أخرى إلى التأثير في المستمعين وحملهم على الاقتداء بأكبر عدد ممكن من آرائنا"⁽⁵⁷⁾.

ولعل هذا ما حدا بسعيد يقطين على استعارة تعريف إميل بنفينيست (E.Benveniste) للخطاب "بأنه كل تلفظ يفترض وجود متكلم ومستمع وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"⁽⁵⁸⁾ إذن مقصد المتكلم من خطابه التأثير في السامع على نحو ما، ولتحقيق هذا الهدف (المقصد التأثيري) يجب إتباع و تطبيق استراتيجية من شأنها أن تضع المرسل في المسلك المناسب للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ إرادته والتعبير عن مقاصده التي يود نقلها للمرسل إليه وتحقيق أهدافه من العملية التواصلية وهذه الاستراتيجية تُعرف باستراتيجية الإقناع "ويعد الهدف الإقناعي من أهم الأهداف التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها، وبذلك يمكننا أن نصنف استراتيجية نسميها استراتيجية الإقناع، انطلاقاً من أن المرسل يتوخاها لتحقيق مآرب كثيرة ويستخدم لذلك آليات متعددة"⁽⁵⁹⁾ ومن هذه المآرب "إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي"⁽⁶⁰⁾ للمرسل إليه بغية التأثير فيه لإحداث تغيير على مستوى سلوك معين وبالتالي الوصول إلى الغاية المبتغاة من ورائه؛ فالإقناع يرتبط بصورة جلية بالحجاج، فهذا الأخير هو الذي تتجسد فيه استراتيجية الإقناع، وتعتمد عليه بوصفه أداة ووسيلة لتحقيق تلك الغاية، وذلك لأن الحجاج يعرف بأنه جهد إقناعي إفحامي يتمظهر في الخطاب

ويحتل بعد جوهري في اللغة ويتأتى له ذلك بالحجج المبنوثة فيه والتي تعني " الطرق التي يسلكها صاحب الحجة لإقناع السامع أو المخاطب واستمالته والتأثير فيه، ودرجة هذا التأثير تختلف وفق الطرق والآليات المستعملة في الحجاج وكذا الأساليب اللغوية الإقناعية الموظفة في الخطاب"⁽⁶¹⁾ فالحجاج يرتبط بالخطاب الذي تختلف طرقه وأساليبه، وكذا مضامينه وتختلف درجات الإقناع في العملية الحجاجية، اختلافا وفق الظهور والإضمار، ذلك أن الحجة تتوسل أدوات لغوية خاصة في إقناع السامع، وبالتالي فهو فعل استدلاي يأتي به المتكلم بغرض إفادة المستمع وإقناعه، خصوصا في الأدوار الخطابية للمتكلم والمستمع الذي تدل عليه في الحجة أدوات لغوية خاصة - هذا يعني امتدادا وتطويرا لنظرية اللغة عند ديكرود الذي يعتبر الحجاج فعلا لغويا خاصا ويتمثل ذلك فيم ينجز في الخطاب من أقوال تمثل الحجج وأخرى تمثل النتائج- فالحجة إذن هي عنصر استدلاي متضمن فيم يقدمه المتكلم من قول يكتسي الصبغة الحجاجية من خلال سياقه⁽⁶²⁾ وتحقق الحجة في الخطاب مثال:

لقد عثرنا على المسدس الذي قتل به علي عند زيد.

فهذا الخطاب يحتوي على حجة هي وجود المسدس، باعتباره وسيلة وآلة للقتل عند زيد، فهذه الآلة نعتبرها حجة لأنها أثبتت أنه هو القاتل.

فهذا " خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه"⁽⁶³⁾ بأن زيد هو من قام بفعل القتل باستعمال حجة لغوية يستعملها المخاطب ليجعل المخاطب يتخذ موقفا ولايتأتى له ذلك إلا إذا أجاد توظيف التقديمات التي تحمل في فحواها حسن البناء والاختيار. فالحجاج يتلامس مع الخطاب ومحتوى فيه: "ومن هذه الزاوية، يصبح الحجاج بعدا جوهريا في اللغة ذاتها، مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وجد خطاب العقل واللغة فإن ثمة استراتيجية معينة نعمل عليها، لغويا وعقليا، إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا. وهذه الاستراتيجية هي الحجاج ذاته وهي تستمد خصائصها وقيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه ويعطى الشرعية"⁽⁶⁴⁾ والاستراتيجية التي تتماشى مع الحجاج هي الاستراتيجية الإقناعية واعتمادها على الاستدلال لمحاكاة الفكر والتفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيدا وتجريدا على حسب قدرة وإدراك المتلقي. " فالحجاج استراتيجية لغوية تتأسس تبعا لسياق الخطاب، فالمرسل أثناء التخاطب ينقل تصورات ومدرجاته الموجودة في

واقعه، بهدف التبليغ أو الإخبار أو التأثير في المرسل إليه، وهو بذلك يعتمد إلى إقناعه قصد التغيير في بعض معارفه أو أفكاره، فيصبح الحجاج وسيلة لتحقيق هذه الغاية" (65) إذ " الحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق" (66) معنى هذا أن الحجاج صفة ملازمة في كل خطاب، "فالحجاج يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية الحقل التواصلية... فهناك حجاجا خطابيا... قضائيا أو سياسيا أو فلسفيا، إلخ." (67) ومن أبرز أمثلة ذلك أن آلية الحجاج نجدها في الخطاب العلمي وفي الخطاب الديني وفي غيرهما، بل يمكن القول إنها لا تكاد يخلو منها الخطاب الطبيعي بوجه عام، فقد تحيلنا الوظيفة التواصلية الإقناعية لخطاب ما "إلى مدى تموقع الحجاج في شتى أنواع الخطاب أو مدى حجاجية الخطاب" (68) فالخطاب يحوي في نظامه حجاجا أي "أن الحجاج جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطيقيا، قاصدا إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية" (69) هذه القضية الخلافية هي التي تضفي صبغة العلاقة التخاطبية الحجاجية الاستدلالية التواصلية بين المرسل والمرسل إليه وتعطي للخطاب ماهيته الحقيقية وهذا ما يثبت أن " الخطاب الحجاجي هو أولا وبالأساس فكر الآخر وكلامه اللذان يتعارضان مع اعتقادي الخاص، ولأنني أعارضه في نقطة ما يبدو لي خطابه مجانباً للحقيقة لا يرقى إلى اليقين بل يظل ضمن دائرة الممكن والمحتمل، ومن ثمة فهو خطاب يتأسس على الصراع ويتولد من رحم الاختلاف حول قضية ما، ويأتي الكلام تجسima لهذا الصراع وذلك الاختلاف فتداخله بالضرورة تعددية بينة بين الوضع المتحدث عنه والمنطلق المتحدث منه بين منطلق الأنا ومنطلق الآخر" (70).

وفي شأن العلاقة بين الخطاب والحجاج طرحها طه عبد الرحمن طرحا ملما، ففسر الخطاب "بأنه ليس مجرد الدخول في علاقة تخاطبية مع الغير وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو العلاقة الاستدلالية، وليس العلاقة التخاطبية وحدها، فلا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب (بكسر الطاء) من غير أن تكون له وظيفة المدعي، ولا مخاطب (بفتح الطاء) من غير أن تكون له وظيفة المعارض" (71) وهكذا يثبت أن كل خطاب لابد أن ينبني على حجج يعمل من خلالها المرسل (المدعي) على إقناع

المتلقي باستمالاته ليشركه مشروعه ومن حق هذا المتلقي (المعترض) أن يعارضه أو يشاطره الرأي على الأقل وأن يتفهم غايته ويستسيغ أطروحته.

ويوضح طه عبد الرحمن أن الأصل في تكوثر الخطاب هي صفته الحجاجية، إذ أنه لا خطاب بدون حجاج، فالخطاب أصل في كل تعامل يقول طه عبد الرحمن "كلما وقفنا على لفظ (خطاب) سبقنا على أفهامنا دلالاته على معنى التعامل....، أو قل إن الخطاب أصل في كل تعامل، كائنا ما كان"⁽⁷²⁾ ومن شأن هذا التعامل أن ينشئ علاقة تخاطبية تكون وظيفتها التواصل، تتأسس على قصدين حسب طه عبد الرحمن؛ قصد الادعاء وقصد الاعتراض.

أما قصد الادعاء فهو لصيق بالمدعي الذي يعتبر "المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال على قوله"⁽⁷³⁾؛ فلا يكون الخطاب خطابا، حتى يكون المتكلم معتقدا بما يقوله، ويكون أيضا على استعداد لإقامة الحجة على ما يقول، عملا على إقناع غيره، فخلو الخطاب من التدليل يجعل المخاطب غير ملزم بالاعتقاد بما يقوله أو كاذبا في كلامه، وهو بذلك عابث باعتقاد غيره. أما قصد الاعتراض؛ فهو من مهام المعترض وهو "المخاطب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدعي"⁽⁷⁴⁾ فهو الذي يملك حق مطالبة المتكلم بإيراد الدليل على ادعائه. وهذا ما نستشفه في تعريف طه عبد الرحمن للحجاج بأنه: "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"⁽⁷⁵⁾

وبناء على هذين القصدين في الخطاب ينشأ الحجاج، فالمرسل (المدعي) مطالب بالإتيان بالدليل والحجة في خطابه ليبرر صحة دعواه وأما المرسل إليه (المعترض) الذي له حق في الاعتراض والتشكيك في كل ما يقوله المرسل حتى يأتي بالدليل الذي يتأسس عليه حجاجه حتى يتم قبول دعواه.

معنى هذا أن الحجاج صفة في كل خطاب بالنظر إلى العلاقة التخاطبية الادعائية والاعتراضية والاستدلالية لمختلف الخطابات، إذن فالحجاج نظام عقلي في لغة الخطاب "نعقل من خلاله الأشياء ونتصرف إزاءها بمقتضاها"⁽⁷⁶⁾ فهذا النظام ليس في جوهره إلا بناء فكريا يحمل وجهة نظر، وقد تمت صياغته في بناء استدلالي أي بشكل مقدمات ونتائج"⁽⁷⁷⁾

إذن فالخطاب الحجاجي خطاب موجه للتأثير على أراء المخاطب وسلوكياته في قضية أو أطروحة معينة بغية: إيضاح الحقائق وتوجيه المخاطب صوب الوجهة التي نرتضيها ونجاح المرسل في خطابه الحجاجي إنما هو وقف على أمرين⁽⁷⁸⁾.

✓ طبيعة الحجج التي يأتي بها لدعم أطروحته.

✓ طريقة انتظام الحجج في الخطاب وكيفية عرضها على المتلقي.

وهذا ما يثبت أن الخطاب يستمد قوته من أمرين: البحث عن الحجة كقوة داعمة أو نافية من أجل تحقيق درجة أعلى من الإقناع، وطريقة الانتظام والعرض كقوة مؤكدة وهذا لا يتحقق إلا إذا أخذ بالحسبان عناصر الخطاب وبالأخص مستوى المتلقي وقدرته والموقف الكلامي في تحقيق العملية التواصلية الحجاجية.

وبما أن النص متضمن في الخطاب، والحجاج جنس خاص من الخطاب هذه العلاقة تقودنا إلى طرح تساؤل هل نحن أمام نص حجاجي أم خطاب حجاجي؟

نقول: أن النص الحجاجي هو ذلك النص الذي يَبُثُّ فيه المحاجج المخاطب الأساليب الحجاجية بقصد الاتصال بالمحاجج المخاطب حاملا إياه على ما يقدمه من قضايا وأفكار بهدف إقناعه، وهذا يتعلق بالحجاج البلاغي، وببلاغة وحجاجية النص، عاملا على إثارة أفكار القارئ التي تتعلق بالموضوع الحجاجي⁽⁷⁹⁾ ويكون النص بؤرة ومركز تجليات آليات ووسائل الإقناع، وعليه نقول نص حجاجي إذا كنّا بصدد تحليل نص وإخضاعه للتحليل ولاكتشاف البنيات والوسائل الحجاجية ووجه الاستدلال.

ونقول "خطاب حجاجي بالنظر إلى عناصر الموقف الكلامي والهدف من الخطاب"⁽⁸⁰⁾ فهو خطاب إيصالي وحجاجي في الوقت ذاته يهدف للإقناع.

وإذا فصلنا بينهما من جانب الوظيفة التواصلية الإقناعية فلا إشكال خطاب حجاجي أو نص حجاجي، لأن كلاهما ينتج لهدف التأثير على المتلقي، وأنها يُنتجان بقصد من المتكلم في الخطاب ومن الكاتب في النص.

نخلص مما سبق إلى النتائج التالية⁽⁸¹⁾

- ✓ الخطاب الحجاجي يختص بالحجاج
- ✓ بالخطابات الطبيعية التي تتسم بالخصوصية والالتباس والتداول والتفاعل الاجتماعي وبسبب غناها النحوي والمعجمي والدلالي كانت الأداة المفضلة للتواصل البشري الطبيعي والعادي بكل ما يشمل هذا التواصل من أهداف ووظائف تعبيرية.
- ✓ الحجاج يرتبط
- ✓ بالخطاب حيث يحاول فيه أحد الطرفين فيها أن يؤثر على الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يبث لديه اعتقاد أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا،
- ✓ الحجاج شديد الصلة
- ✓ بالخطاب ومن ثم فإن غايته ليست الحكم بالصدق أو الكذب ولا البرهنة القطعية الصارمة بل هي الإفحام والإقناع والتأثير في المتلقي مما ينتج عنه تغييرات على مستوى فكره وسلوكه تلاحظ وتقاس.
- ✓ الحجاج يغطي كل
- ✓ مجال الخطاب الذي يهدف إلى الإفهام والإقناع مهما كان المتلقي ومهما كانت الطريقة المتبعة وطبيعة الموضوع الذي يدور حوله النقاش.
- ✓ الحجاج هو درس
- ✓ تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم.
- ✓ إذن فالعلاقة بين الخطاب والحجاج علاقة تلازمية إطارها تفاعلي تبادلي فلا يخلو أي خطاب من الحجاج
- ونختتم من خلال ما تقدم بإثبات مقولة طه عبد الرحمن «لا خطاب بغير حجاج»
- فالمخاطب يصدر خطابه بغية إحداث الإقناع الفكري الخالص عند المتلقي وينتهج في ذلك أساليب حجاجية يسطرها من أجل الإعداد لقبول أطروحة ما وبالتالي يرمي إلى دفع المتلقي إلى الفعل ولا يتأتى له ذلك إلا بالحجاج.

الهوامش والمراجع:

(1) عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014م، ص: 118.

- (2) أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية - دراسة في الوظيفة والبنية والنمط - الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010م، ص: 24.
- (3) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2000، ص: 275، مادة (خطب).
- (4) ينظر: عباس حشاني، الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ص: 118.
- (5) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، 1994، مادة: (خطب) نقلا عن: محمود عكاشة، تحليل الخطاب، في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2014م، ص: 17.
- (6) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001، ص: 252.
- (7) ابن فارس أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ج1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص: 368.
- (8) ينظر: معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004، مادة خطب، ص: 243.
- (9) ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة، الجزائر، د ط، 2005م، ص: 14.
- (10) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ج2، 1972م، ص: 175.
- (11) علي بن محمد الأمدي، (أبو الحسن سيد الدين علي بن محمد بن سالم الثعالبي الأمدي)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ج1، ص: 136.
- (12) الكفوي، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ط1، الرسالة، بيروت، 1992م، مادة: خطب، ج1/339.
- (13) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص: 36.
- (14) سورة ص، الآية: 20.
- (15) سورة المؤمنون، الآية 27.
- (16) سورة الفرقان، الآية، 36.
- (17) سورة النبأ، الآية، 37.
- (18) سورة ص، الآية، 23.
- (19) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، دط، 1947، ج4، ص: 77، 80. نقلا عن: ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة - دراسة تداولية - بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة، 2009، 2010م، ص: 4.
- (20) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة 04، 2005 م، ص: 19.
- (21) حمدي جودي منصور، بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، تخصص اللسانيات واللغة العربية، 2015، 2016م، ص: 16.
- (22) زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014م، ص: 97.
- (23) حمدي جودي منصور، بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 16.
- (24) نور الدين السدّ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، 1997، ص: 11.
- (25) خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق - مثل من صورة البقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008م، ص: 24.

- (26) ينظر: حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007م، ص: 35.
- (27) عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص: 128.
- (28) خلود العموش، الخطاب القرآني، ص: 24.
- (29) حمدي جودي منصور، بنية الخطاب الحجاجي في كلیلة ودمنة لابن المقفع، ص: 25، 26.
- (30) حسين خمري، نظرية النص، ص: 60.
- * التجريبي.
- (31) سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2001، ص: 16.
- (32) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 45.
- (33) ينظر: المرجع نفسه، ص: 8.
- (34) المرجع نفسه، ص: 45.
- (35) حمدي جودي منصور، بنية الخطاب الحجاجي، ص: 31.
- (36) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، (المقدمة)، ص: VI, V.
- (37) المرجع السابق، ص: 48.
- (38) المرجع نفسه، المقدمة (VI).
- (39) المرجع نفسه، ص: 45.
- (40) طه عبد الرحمن، الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، مجلة المناظرة، عدد4، ماي 1991م، ص: 69.
- (41) ينظر: ولد محمد الأمين محمد سالم، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، ع2، يناير، مارس، 2000، ص: 85.
- (42) عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية - دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ص: 138.
- (43) خلود العموش، الخطاب القرآني، ص: 26.
- (44) حمدي جودي منصور، بنية الخطاب الحجاجي، ص: 30.
- (45) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، المقدمة (VI).
- (46) قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012م، ص: 9.
- (47) عزيز لدية، نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015، ص: 80.
- (48) رضوان الرقي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، عالم الفكر، العدد 02، المجلد 40، أكتوبر، ديسمبر، 2011، ص: 80، 81.

⁴⁹⁾ A.Reboul, J.Moeschler (1998) ; la pragmatique de discours, Paris, Armand Colin, P 156.

- (50) ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص: 15.
- (51) قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 10.
- (52) المرجع نفسه، ص: 11.
- (53) المرجع نفسه، ص: 11.
- (54) ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص: 12، 13.
- (55) أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 25، 26.
- (56) ينظر: طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2005، ص: 248.
- ⁵⁷⁾ J.M.Adam. les texts , types et prototypes, nothan, paris, 1992. P :103.

- (58) ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص: 17.
- (59) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، (المقدمة)، ص: viii.
- (60) بليث هنريش، البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، دراسات (سال)، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص: 64.
- (61) رضوان الرقيبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، عالم الفكر، العدد 02، المجلد 40، أكتوبر، ديسمبر، 2011، ص: 71.
- (62) المرجع نفسه، ص: 72.
- (63) حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي - عناصر استقصاء نظري- ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته- دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الثالث الحجاج وحوار التخصصات، تقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010م، ص: 33.
- (64) المرجع السابق، ص: 33.
- (65) حمدي جودي منصور، بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 64.
- (66) حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 33.
- (67) المرجع نفسه، ص: 31.
- (68) عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص: 120.
- (69) محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الرابع الحجاج والمراس، إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010م، ص: 5.
- (70) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011، ص: 29.
- (71) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص: 226.
- (72) المرجع نفسه، ص: 225.
- (73) المرجع نفسه، ص: 225.
- (74) المرجع نفسه، ص: 226.
- (75) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص: 35.
- (76) عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحلله؟، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (مجد)، بيروت، ط1، 2009م، ص: 12.
- (77) محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط2، ص: 128.
- (78) ينظر: أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 2001، ص: 94.
- (79) ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص: 126.
- (80) المرجع نفسه، ص: 129.
- (81) ينظر: رضوان الرقيبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، ص: 73، 81، 82.